المبحث الأول
العروض والموسيقى والإيقاع

1- التعريف بعلم العروض

أ- العروض لغة:

-والعَروض عَروض الشعر، لأن الشعر يعرض عليه، ويجمع أعاريض، وهو فواصل الأنصاف، والعروض تؤنث، والتذكير جائز، والعَروض طريق في عُرْض الجبل، وهو ما اعترض في عُرْض الجبل في مضيق، ويجمع على عُرُض-[1].

يعلّل الخليل[2] سبب تسمية هذا العلم بالعروض، بكونه نموذجا قاعديّا يعرض عليه الشعر، كما ذكر معنى آخر لكلمة- العروض-، وهو: الطريق الجبلية.

ب- اصطلاحا:

قال السراج: - هو علم يعرفُ به صحيح وزن الشعر من فاسده، وضعهُ الخليل بن أحمد مهتدياً إليه بعلم الإيقاع لتقاربهما[3]-.

يركز السراج في تعريفه على الفائدة الأولى لعلم العروض وهي التمييز بين صحيحه وسقيمه، مذكّرا بواضعه الأول-الخليل- رابطا هذا العلم بعلم الإيقاع أو الموسيقى، ووجه القرابة بينهما التناسق والتناسب بين الأصوات في المقاطع الصغيرة والكبيرة.

---

[1]- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، طنطا-مصر، ط1-دتا، مادة: "عرض"، 275/1.

[2] - وينسب هذا العلم إلى أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 170 هـ). ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دتا.، 314/2.

[3] - السراج محمد علي، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، تح: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983.ص187.

وقال ابن جنيّ: - اعْلَم أَن الْعرُوض ميزَانُ شعر الْعَرَب وَبِه يعرف صَحِيحه من مكسوره، فَمَا وَافق أشعار الْعَرَب فِي عدَّة الْحُرُوف السَّاكِن والمتحرك سمي شعرًا (وَمَا خَالفه فِيمَا ذَكرْنَاهُ فَلَيْسَ شعرًا)، وَإِن قَامَ ذَلِك وزنا فِي طباع أحد لم يحفل بِهِ حَتَّى يكون على مَا ذكرنَا-[1].

يشبّه ابن جنّي العروض بالميزان الذي يحدد الوزن والقيمة، ثم ينبّه على دوره الفعال في معرفة صحيح الشعر من فاسده- وهو الذي عبر عنه بمصطلح المكسور.

وقد اشترط فيما يُنظم في عصره –حتى يسمّى شعرا- أن يكون على وزن نظمت فيه العرب من قبل، فإن اختل هذا الشرط لم يُسمّ شعرا على حد قوله.

2- أهمية علم العروض وفوائده

وقيل في أهميته:

-تصريف عرضٍ قيل معناه البيان وبالعروض الكشف عن وزن اللسان

والأمن من تداخل البحـــــــورِ وعلمُ ما جاز مع النُّفـــورِ[2]

يذكر الآثاري هنا طرفا من فوائد علم العروض، منها بيان حقيقة الشعر والكشف عن أوزانه وإيقاعاته، مع الحرص على عدم اختلاطها؛ لتشابه بعضها، وتحديد ما يجوز للشعراء وما لا يجوز لهم.

*- من أهم فوائد العروض –أيضا- تمكين الناقد من تحليل قصائد الشعر العربي، وتحديد وزنها وإيقاعها وبنيتها؛ فيميز بذلك صحيحها من فاسدها وجيدها من رديئها، كما يمكنه من أن يستدرك على الشعراء ما وقعوا فيه من خطأ وما انضوت عليه قصائدهم من خلل.

*- ومنها أنّه يعين المبتدئين من الشعراء على النظم بشكل صحيح، كما ينمّي لديهم حاسة الذوق الشعري، ويكسبهم حاسّة شعرية مرهفة.

*- تنزيه آيات القرآن الكريم عن أن تكون شعرا أو أن يدانيها شكلا أو مضمونا، وبه يمكن أن يستدل على تبرئة رسول الله –صلى الله عليه وسلّم- عن أن يكون شاعرا.

*- تبيين ما يجوز في الشعر وما لا يجوز، وتحديد ما يمكن للشعراء أن يتجاوزوه من قواعد العربية.

*- التفريق بين منظوم الكلام ومنثوره[3]، خاصّة المسجوع منه المتناسب لفظا ووزنا.

---

[1] - ابن جني أبو الفتح عثمان، العروض، تح: أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ط1، 1987، ص 55.

[2] - الآثاري زين الدين شعبان بن محمد، لِسَانُ العَرَبِ فِي عُلُومِ الأَدَبِ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دتا،، ص 145.

[3] - ينظر: ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، دتا، ص: 05.

3- مفهوم الشعر:

قيل إنّ الشعر هو -**كل لفظ موزون مقفى**-[1] وزاد بعضهم -**تضمّن عاطفة**-[2]؛ ليخرج الشعر التعليمي والقصصي من هذه الدائرة، ولكنّه مع ذلك يبقى شعرا لأنّه يراعي النواحي الإيقاعية والموسيقى الشعرية، ويخضع لقوانين العروض وقواعده.

فشرطا الشعر اثنان؛ الوزن والقافية، فإن كان الوزن يشمل الوحدات الصوتية الإيقاعية في البيت الشعري، فالقافية تشمل المقطع الأخير منه، فتوحد أبيات القصيدة الواحدة في الجرس الموسيقي نفسه، ومتى تغير بيت عن آخر في القصيدة نفسها عُدَّ عيبا يُحسب على قائله.

4- موسيقى الشعر:

يعد الإيقاع أهمّ صفة صوتية يتميز بها الشعر العربي، لما له من أثر وأهمية في ازدهار نظم الشعر وقراءته ودراسته، وهذا الإيقاع يصطلح عليه أيضا -بـموسيقى الشعر-[3].

وقيل فيها أيضا بأنّها - أهم عنصر أوجدته الثورة الحديثة في الشعر العربي-[4]؛ لأنّ الشعر في حقيقته لا يعدو أن يكون – كلاما موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب-[5].

إلا أنّ موسيقى الشعر لا يتمكّن منها كل أحد، بل هي خاصة بمن امتلك حاسة سمع مرهفة تمكّنه من إدراك وزن الشعر العربي وتحليله؛ فنجد توالي الحركات والسكنات وانسجامها معًا يحدث تناغما في الوزن، وهذا ما يسمى بالجرس اللفظي.[6] إضافة إلى ارتباط ذلك بمعاني القصائد وأغراضها.

5- الهندسات الصوتية:

إذا كان الشعر في أصله يتضمّن نظاما صوتيا لغويا بديعا، أمكننا أن نصفه بأنه هندسة صوتية متقنة، تتتابع الوحدات الصوتية في أجزاء البيت أو السطر الشعري بالتناسب مع الحالة النفسية الشعورية للناظم، فيصير بذلك مهندسا صوتيا.

---

[1] - ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية- بيروت، ط1، 1995، 2/ 324.

[2] - ينظر تفصيل المسألة: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط4، 1983، ص191.

[3] - وعلى هذا الأساس ألف إبراهيم أنيس كتابه "موسيقى الشعر".

[4] - ينظر: بسام الساعي. حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ص 275.

[5] - موسيقى الشعر، ص 15.

[6] - ينظر: صابر عبد الدايم، موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1993، ص 35.

وتختلف أهمية الأصوات في البيت الشعري بحسب موقعها من البيت، فنجد أواخر البيت أو السطر أكثر أهمية من غيرها، لتركيز الشاعر عليه، ولكنّها تبقى مشتركة في عدد معين من التنسيقات الأساسية[1].

6- التنسيقات العروضية:

ويقصد بها ائتلاف وحدات البيت الشعري الصوتية معًا لتشكل نظاما يحكم تنسيق القصيدة الشعرية، فلا يمكن فصل الأجزاء المكونة للنظام الصوتي عن بعضها أو الإخلال بترتيبها وإلا فسد الوزن واختلّ الإيقاع.

وهذه الأنساق العروضية - تجمعات صوتية متماثلة أو متجانسة، وهي تكرار لبعض الأحرف التي تتوزع في كلمات البيت، أو مجيء حروف تجانس أحرفاً في الكلمات تجري وفق نسق خاص[2]- وتكتسب المقاطع العروضية وظيفة علائقية تربطها بما بعدها وما قبلها؛ فنجد الأوتاد الركن الأساس في التنسيق العروضي لأنّها لا تتعدّد في التفعيلة خلافا للأسباب، كما أنّها تحافظ على موقعها ولا تتجاور أبدًا.

أمّا الأسباب فتمثل مقطعا صوتيا عروضيا أصغر منها، فهي على صوتين فقط إن لم يصبها الزحاف، أما الأوتاد فثلاثة أصوات، كما أنّ الزحاف لا يصيبها، وباجتماعهما معا يتشكل نسق عروضي أكبر هو التفعيلة.

//0/+0/+0/ و + س+ س

/0+0//+0/ س+ و+ س

0//+0/+0/ س+ س+ و

وهذه التفعيلات تعد تنسيقا عروضيا مصغّرا للبيت الشعري الذي يعدّ التنسيق العروضي الأكبر.

[1] - جوزيف ميشال شريم، "الهندسة الصوتية في القصيدة المعاصرة،" مجلة عالم الفكر، المجلد 23، العدد 03، 1994، ص117.

[2] - محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية، اتحاد الكتّاب العرب – دمشق، ط1، 2001، ص64.

7- الإيقاع الشعري:

7-1 مفهومه:

يدور مفهوم الإيقاع عموما حول انتظام مجموعة من الأصوات وترتيبها بانسجام يترك عذوبة في أذن المتلقي، تجعله يستلطفه ويستمتع بالاستماع إليه، ولذلك ربطه ابن منظور في معجمه - لسان العرب- باللحن والغناء.[1]

والإيقاع مصدر أوقع؛ كمن يوقع النّقر أو الضرب على الطبلة بإتقان مع الأصوات والألحان[2].

ويروى أنّ الخليل بن أحمد قد ألف كتابا في النغم والإيقاع كما ألف كتاب العروض، وهذا ما يجعل الإيقاع مرتبطا بالعروض أيما ارتباط، ولا أدل على ذلك من أنّ أهم صفة في الشعر العربي هي انتظام الحركات والسكنات بشكل متناسق يجعلها إيقاعا خاصّا بالأصوات اللغوية (phones) قسيما للإيقاع العام للأصوات غير اللغوية (sounds).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأنّ الإيقاع الشعري هو انتظام سلسلة صوتية لغوية مركبة من حركات وسكنات في قالب محدد، تطرب لها الأذن وتستعذبها النفس، وكلّ تغيير غير منسق يطرأ عليها يخلّ باتّزانها فترفضه الأذن الذواقة والخبيرة.

وبما أنّ البيت الشعري – الوحدة الأساس في القصيدة الشعرية- مركّب من وحدات صوتية لغوية ومقاطع صوتية إيقاعية منسجمة يصطلح عليها عروضيا بالتفعيلات[3]، اصطلح على الفن الذي يهتم بهذه الناحية منه علم الإيقاع أو الإيقاع الشعري.

وقد ربط بعض علماء الأوزان الإيقاع الموسيقي العام بالإيقاع الشعري الخاص من خلال ثلاثة عناصر رئيسة، هي: السبب والوتد والفاصلة[4].

فالسبب أصغر مقطع صوتي مكون من حركتين أو من حركة فسكون؛ والوتد أكبر منه فهو مكون من حركتين فسكون أو من حركتين يتوسطهما سكون؛ وأمّا الفاصلة فتجمع نوعي السبب معا أو سببا ووتدا، وهي أكبر مقطع صوتي في الشعر العربي.

وهذه العناصر الإيقاعية قد تكون متساوية في الشعر عامّة لا الشعر العربي؛ فقليلا ما نجد أبيات قصيدة واحدة متساوية في الحركات والسكنات بل أكثر ما نجده منها متقاربا لا متطابقا.

فنجد بيتا تضمن تفعيلة سليمة في موقع ما، بينما نجدها مزاحفة أو معلولة في بيت آخر.

---

[1] - لسان العرب، 263/15.

[2] - ينظر: رشاد الدين مؤنس، المرام في المعاني والكلام القاموس الكامل، دار الراتب، ط1، 2000، ص: 150.

[3] - علم العروض والقافية، ص11.

[4] - ينظر: أحمد رجائي، أوزان الألحان بلغة العروض، ص130.

فنجد للتفعيلة الواحدة أكثر من إيقاع في القصيدة نفسها، لأنّ الإيقاع هو - التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها-[1].

ويؤدي هذا الإيقاع المنتظم دورا بارزا في اتّساق أجزاء القصيدة الشعرية، وأثرا بالغا في الجانب الفنّي منها.

7-2 ركيزتا الإيقاع الشعري العربي:

يذكر بعض علماء الشعر للإيقاع الشعري ركيزتين[2] لا يستغني عنهما الجانب الموسيقي فيه؛ هما: نظام تتابع المقاطع الصوتية، والنغمة الموسيقية المصاحبة للإيقاع أثناء القراءة والإلقاء.

أمّا الأولى فهي ذلك الاتّساق الملاحظ على أجزاء البيت الشعري، وأمّا الأخرى فهي ما يعرف بالتنغيم[3] في علم الأصوات، ويظهر أثناء الإنشاد والتغنّي.

7-3 أقسام الإيقاع:

للإيقاع الشعري قسمان رئيسان؛ داخلي وخارجي:

أ/- الخارجي:

ويتضمّن أوزان العروض وموسيقاه وقافيته، والعلاقات بين الوحدات الصوتية الشعرية ومقاطعها. فتفعيلات البيت وأجزاؤه الصوتية تمثل الجانب المحسوس الظاهر للإيقاع الشعري.

ب/- الداخلي:

ويقصد به ذلك التعالق والانسجام بين الإيقاع الصوتي من جهة وبين دلالات التركيب الشعري، إضافة إلى تلك اللغة الشعرية التي تحفز خيال المتلقي، - مما يخلق إيقاعا متجانسا، يرسم صلة متفاعلة بين بنية المنطوق وبنية المدلول، فيتحول النسيج الصوتي إلى تنغيم إيقاعي...-[4].

---

[1] - عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط1، 1974، ص376.

[2] - ينظر: صلاح يوسف عبد القادر، في العروض والإيقاع الشعري، ص159.

[3] - ينظر: فوزية عبادشي، شعرية الإنشاد عند محمود درويش، ص76.

[4] - الهاشمي علوي، فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، ص55-56.